

الحسين [ع] في الشعر الأندلسي

الدكتور عبد الأمير عبد الزهرة عناد الغزالي
أستاذ الأدب الأندلسي في جامعة الكوفة

المقدمة:

عبرت طلائع الفتح الاسلامي البحر صوب أوربا - أسبانيا الحالية - في شهر رجب سنة ٩٢ هـ وهي تحمل معها الفكر الاسلامي لتوصله إلى هناك ولتقيم على هديه دولة الإسلام في تلك الأصقاع من أرض الله .

(طه . د عبد الواحد ذنون ١٩٨٦ ص ١٦ نقلاً عن - ابن القوطية ١٩٢٦ - ص ٨-٩)
وقد كان فتح تلك البلاد التي أطلق عليها المسلمون اسم الأندلس والأمويون هم الحكام على المسلمين . أولئك - الأمويون - الذين حاولوا أن يجعلوا الخلافة الإسلامية حكماً وراثياً عضوضاً في أسرته ، وقد تيسر لهم ذلك وعلى يد مؤسس دولتهم معاوية ، ولم يدخروا وسيلة من أجل إطالة أيام حكمهم على المسلمين حتى أنهم أنزلوا الفاجعة الكبرى بأهل البيت عليهم السلام في كربلاء حيث قتلهم الحسين بن علي عليهما السلام وأهل بيته وأصحابه وسبيهم لعيالاته وحرمه ، وقد كان ذلك قبل ثلاثين سنة من فتح المسلمين الأندلس .

وعلى كثرة الدواهي والنوازل التي حلت بأهل البيت عليهم السلام بعد التحاق النبي (ص) بالرفيق الأعلى تبقى كربلاء هي الأدهى والأعظم من بينها جميعاً .
وقد أخذت هذه النازلة الكبرى أثرها في أهل البيت أنفسهم وكذلك في شيعتهم ناهيك من أنها قد شكّت الضمير الإنساني الحي وبالضميم .

حتى أضحت كربلاء معيناً دفاقاً تعب منه القرائح غذاءً هنيئاً سائغاً لما تجود به من نتاج أدبي ملأت به الآفاق ترثي به الحسين عليه السلام والعصابة التي جاهدت معه ، وتبين عمق المأساة وفداحة الكارثة التي نزلت بآل بيت الرسالة ، وتشنع بمن مهّد ورضي وقام بتلك الفعلة المشينة ، وتحث الفكر ، وتحرك وتهيج الفكر والعواطف ، وتدل كل أحرار الدنيا والمظلومين بالاسترشاد والاحتذاء ، وتهديهم لاتخاذ الحسين عليه السلام وأصحابه قدوة وعلى مر العصور والأجيال .

ولما كان من كثرة النتاج الأدبي الذي قيل في كربلاء - خاصة الشعر - فقد لفت انتباه جملة من الباحثين والمؤلفين في شؤون الأدب فأفردوا له التأليف والدراسات .

ويكفي أن نذكر مؤلفاً واحداً مكوناً من ثمانية مجلدات تضمنت الشعر الذي قيل في الحسين عليه السلام وكربلائه ، هو "أدب الطف" للسيد جواد شبر رحمه الله ، ونحن نقطع بأن هذا السفر على عظم فائدته وسعة محتواه لم يتمكن من الإحاطة بكل ما قيل شعراً عن كربلاء ، وكذلك لم يأت بكل الشعراء الذين ذكروا الحسين عليه السلام بشعرهم هذا فيمن عاصروا المؤلف أو سبقوه فكيف والزمن جواد رعون .

ويمكننا القول قاطعين بأنه ما من أحد من شعراء الشيعة قد غادر كربلاء ولم يقف عندها ، بل أنهم جميعاً حطوا الرحال بطفها ، وأطالوا الوقوف والبقاء بها ، فبكوا وأبكوا .

وكان أول المتقدمين على مواكب الشعراء من حيث اللحاظ الزمني بالوقوف عند الحسين عليه السلام وكربلائه عقبة بن عمر السهمي من بني سهم بن عوف بن غالب ، وهو يقول :

مررت على قبر الحسين بكربلا ففاض عليه من دموعي غزيرها
وما زلت أبكيه وأرثي لشجوه ويسعد عيني دمعها وزفيرها

(الأمين السيد محسن ١٩٨٩م ص ٣٧)

وقد كان من تشجيع وطلب أئمة أهل البيت عليهم السلام من شعرائهم رثاء الحسين عليه السلام قوة دافعة لأولئك الشعراء بما زحوا به الأدب العربي وأتحفوه بنتائجهم الثمر الغزير الذي شكلت الكثير من قصائده عيون الشعر العربي وروائعه .

فهذا الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام حينما يدخل عليه أبو هارون ، المكفوف ، وينشده شعراً بحق مصيبة جده الحسين عليه السلام يبكي ، ثم يقول لأبي

هارون "أنشدني كما تنشدون" - يعني بالرقعة - يقول أبو هارون فأنشدته :

أمرز على جدث الحسين فقل لأعظمه الركية

(ابن قوقوبه ١٣٥٦هـ . ش ص ١٠٤)

ولن يتمكن أحد من إنكار إغناء شعر الرثاء الحسيني الأدب العربي ، وبرغم التهمة الموجهة لأدب التشيع بأنه أدب حزن وآلم وتشاؤم نتيجة لما ضج به من إلحاح في رثاء الحسين عليه السلام ، وتتبع لما لحق بآل البيت من ظلم وحيف وتقتيل وتشريد . إلا أن الواقع الذي رزح تحت وطأته الشيعة أخذ بأيدي شعرائهم إلى ما هم عليه من إظهار للحزن .

وتتضح للناقد الحصيف حقيقة هي أن هذا الحزن تأجيج للمشاعر يبتغي منه تفجير الثورة في كل زمن . تلك الثورة التي وظفوا لها أدبهم أحسن توظيف مبتغين من ورائه عدم السماح للعواطف بالخفوت والخمود كي تستنهض النفوس باستثارة الأحاسيس والمشاعر لتصبح متضافرة متضامنة في خندق واحد مع الفكر تشد أزره وتبعث في أصحابه العزم والاندفاع والثبات .

فمن ثنايا رثاء الحسين عليه السلام "يستطيع الأدب الشيعي ، أن يبكي في ثورته وأن يثور في بكائه ، وأن يسيطر على الموقف في كلتا الحالتين ، لأنه يلقي من شظايا فؤاده ... والكبت حين يتصل بأعماق النفس ليمزج العقيدة بالعاطفة ، يتصعد مع الزفرات

أدباً يلهب ويبكي ويستبكي ، وفي أثرة الحزن معانٍ لا تستطيع أن تعبر عنها أثرة المعافي ، وإن تشابهتا في التوقيع ، هذا ما يجعل أدب الشيعة في القمة من أدب المسلمين ، وفي الذروة من أدب العروبة ، وهذا بعض ما استفاده الشيعة من يوم الحسين عليه السلام ، وأيام العترة في التاريخ ، وأيامهم في التاريخ دموع ودماء" .
(محمد أمين ١٩٩١ العدد ١١ ص ١٠٣٤)

التشيع في الأندلس:

والأندلس تلك البلاد النائية عن الأرض التي قتل فيها الحسين عليه السلام والتي افتتحت في أيام دولة عدوة لآل البيت عليهم السلام غصبت منهم خلافة المسلمين ، وحاولت جاهدة أن تعفو ذكرهم من الأرض واذهان الأمة ، وعلى وجه الخصوص في الأندلس ، وذلك بإشاعتها الثقافة الأموية الخاصة ، وسعيها لتجاهل كل شئ يمت لأهل البيت بوصل ، بل تناسيه وعدم ذكره مطلقاً ، بل ومحاربته . إلا أنه وبالرغم من كل هذا فلم تكن الأندلس بأقل حظاً من غيرها من أرجاء بلاد الله التي دخلها الإسلام في معرفة أهل البيت والتعاطف معهم ، بل والذوبان فيهم والمطالبة بحقوقهم ونيل من عاداهم وقتلهم ، والسعي جاهدة لطرحه ولفظه وهذا أركان ما أقامه من كيان قد شيد أساسه على معاداة أهل البيت المطهر .

ولعل هذا الكلام يسترعي الانتباه ويثير بعض ما في النفوس ذلك من أنها أفهمت بأن الأندلس أموية الفتح أموية السقوط بناءً على ما حاولت أن تصوره بعض الأقلام بقصد أو بغير قصد ، أو بسبب عدم اهتمامنا بشأن ذلك الفردوس المفقود "الأندلس" . وعدم متابعتنا لتأريخه بما يجب ويستحق .

ومن غير مبالغة ولا تضخيم يمكننا التفوه بأن الأندلس وبالرغم من كل الإطباق الحديدي الذي جهد الأمويون في ضربه عليها واستخلاصها لهم ولواليتهم وعدم السماح بدخول أي فكر إليها - ومهما كان مؤداه - غير الفكر الأموي إلا أنها كانت مرجلاً يغلي بالتشيع ، وقد تتابعت ثوراته العارمة فما كانت لتخمد ثورة بقوة الحديد والنار حتى تتفجر أخرى تكاد أن تطيح بالدولة الأموية هناك . (الغزالي الدكتور عبد الأمير ١٩٩٧ ص ٣٨)

حتى أن إحدى هذه الثورات الشيعية - وفي زمن عبد الرحمن الداخل معيد الكيان الأموي على هيئة دولة في الأندلس بعد إزالته من المشرق على يد التشيع - كادت تقيم حكماً شيعياً يسبق دولة الأدارسة في المغرب بعشرين عاماً . (الغزالي الدكتور عبد الأمير ١٩٩٧ ص ٣٩ نقلاً عن الذخيرة)

ولم ينفك التشيع وثوراته المتتالية في الأندلس من ملاحقة التشكيلة الأموية القائمة هناك إلى أن أَرادها سنة ٤٠٧ هـ (الغزالي الدكتور عبد الأمير ١٩٩٧ ص ٥١) مقيماً على أنقاضها حكماً علوياً شيعياً اتخذ لنفسه اسم الخلافة وبدون أي تحفظ ومنذ الأيام الأولى . ومن الجدير ذكره أن تلك التسمية لم يجرؤ كيان الأمويين هناك على

إلصاقها بنفسه إلا في سنة ٢١٦هـ على يد ثامن أمرائهم عبد الرحمن الناصر بالرغم من أن إمارتهم كانت قد وضعت لبناتها الأولى عام ١٢٨هـ .

رثاء الحسين عند الأندلسيين:

بعد أن وضعنا أساساً عاماً لدى القارئ الكريم عن التشيع ووجوده في الأندلس نحاول الآن وضع يده على شئ من أدب التشيع هناك ، وهنا يمكن القول — ومن دون مبالغة أيضاً — بأن الأدب الشيعي هناك أمسك بعصا السبق على عموم الأدب الأندلسي من جانب ، وأنه كاد يفوق الأدب الشيعي المشرقي من جانب آخر . فهو من حيث الغزارة والرصانة والإبداع والاعتناء بأمهات مطالب الفكر الشيعي له المقام الأعلى والمنزلة المكيئة .

فالمتربعون على عرش الأدب الأندلسي لا تجدهم إلا متشيعين من أمثال ابن هانيء ، وابن شهيد ، وابن دراج ، وعبادة بن ماء السماء ، وابن الأبار البلنسي ، وابن أبي الخصال ، وابن عبدون ، وأبي بقاء الرندي ، وصفوان بن إدريس ، وغيرهم الكثير . فعندما يعقد ابن بسام الشنتريني فصلاً في "ذخيرته" لابن دراج ، وينقل قصيدته التي يمدح فيها علي بن حمود مؤسس الدولة الشيعية في الأندلس والتي مطلعها:

لَعَلَّكَ يَا شَمْسَ الْأَصِيلِ شَجَوْتُ لَشَجْوِ الْغَرِيبِ الذَّلِيلِ

(ديوان ابن دراج ١٩٦١ ص ٧٥ ، الشنتريني ١٩٧٩ ق ١ ص ٨٨ وما بعدها)

يجعلها من الهاشميات الغر ، ويقرضها بقوله : (وهذه القصيدة له طويلة ، وهي من الهاشميات الغر بناها من المسك والدر ، لا من الجص والآجر ، لا بل خلدتها حديثاً على الدهر ، وسرَّ بها مطالع النجوم الزهر ، لو قرعت سمع دعبل بن علي الخزاعي والكميت بن زيد الأسدي لأمسكا عن القول وبرئنا إليها من القول والحول ، بل لو رآها السيد الحميري ، وكثير الخزاعي ، لأقاماها بينة على الدعوى ، ولتلقياها بشارة على زعمهما بخروج الخيل من رضوى ، وقد أثبتنا أكثرها إعلاناً بجلالة قدرها واستحسانا لعجزها وصدرها وأولها) . (الشنتريني ١٩٧٩ ق ١ ص ٨٧) .

والأدب الشيعي الأندلسي لم يغفل عن الفاجعة الكبرى التي لحقت بالتشيع في كربلاء ، بل إنه امتاز عن الأدب الشيعي المشرقي وتعداه إلى أن قسما من أدبائه قد وقفوا من أنفسهم شعراءً لكربلاء ، وكفوا عن القول في غيرها ، وهذا لم يكن في المشرق من قبل أدباء التشيع بالرغم من أنهم نظموا الطوال في عاشوراء ، إلا أنهم جعلوا لباقي الأغراض الشعرية نصيباً في أشعارهم حتى ولو كان النظم في باقي الأغراض قليلاً .

وقد انفرد بعض شعراء التشيع الأندلسي بذلك ، وذلك بأنهم نظموا في رثاء الحسين عليه السلام ولا غير . (المغربي ابن سعيد ١٩٧١ ج ٢ ص ٢٦٠-٢٦١)

ويعد أبو القاسم محمد ابن هانيء الأزدي الأندلسي الوالج الأول في غرض رثاء الحسين عليه السلام من شعراء التشيع في الأندلس ، وهو بنفس الوقت أول شاعر شيعي عرفته الأندلس ولد ونشأ في إشبيلية في أيام عز دولة المرwanيين الأمويين "وبسبب اتهامه

بالتشيع واتباع مذهب الفلاسفة هرب من الأندلس إلى المغرب ، وعمره آنذاك سبع وعشرون سنة ثم بلغ خبر ابن هانئ المعز الفاطمي فاستقدمه إلى القيروان وبالغ في إكرامه " (ناجي الدكتور منير ١٩٦٢ ص ٥٥ وما بعدها)
وكان ابن هانئ قد أورد رثاء الحسين عليه السلام في أول قصيدة مدح فيها المعز لدين الله الفاطمي ، والتي يقول فيها :

فكان جدك في فوارس هاشم . منهم بجيش ترى الحسين ذبيحا

(ديوان ابن هانئ ١٩٨٦ ص ٧٦)

وما كان ابن هانئ ليتجافى عن كربلاء ورثاء الحسين عليه السلام في العديد من قصائد شعره التي نذر لها للذود عن التشيع والدفاع عن رموزه من الفاطميين ، بل وفي أكثر المناسبات التي نظم فيها ابن هانئ ، كقوله في إحدى قصائده :

ألا إن يوماً هاشمياً أظلهم يطير فراش الهام عن كل مجثم
كيوم يزيد والسبايا طريدة ككل موار الملائم عثمئهم
وقد غصت البيد بالعيس فوقها كرائهم أبناء النبي المكرم

(ناجي الدكتور منير ١٩٦٢ ص ٨٥)

ولم يفت شعراء التشيع في الأندلس الذين جاءوا بعد ابن هانئ ندب الحسين عليه السلام ورثاءه والوقوف عند كربلاء ومصائبها . فهذا ابن دراج يثبت ذلك في هاشميته التي مر علينا تقريض ابن بسام لها ، فيقول :

تھاوت بهم مصعقات الرواعد في مدجنات الضحى والأصيل
بوارق ظلماء ظلم قبيح دمی من ضحی او دما من قتيل
فأذهل مريضه عن رضيع وأتسى الحمام ذكرى الهديل

(الشنتريني ١٩٧٩ ق ١ ص ٨٨)

وهذا أيضا الوزير ابن عبدون في رائيته الشهيرة يذكر بمصاب الحسين عليه السلام ، ويعرج عليه هاجماً على عبيد الله بن زياد وشمر لجرائمها على حرمة الأمام الحسين عليه السلام ، ويصمهما بالعار والخسران ، بقوله :

وأجزرت سيفاً أشقاها أبا حسن . وأمكنت من حسين راحتي شمر
وليتها إذ فدت عمراً بخارجة . فدت علياً بمن شاعت من البشر
وأردت ابن زياد بالحسين فلم يَبوء بشسع له طاح أو ظفر

(الشنتريني ١٩٧٩ ق ٢ ص ٧٢٠-٧٢٤ ، نقلا عن العبر ، ونفح الطيب)

وهكذا بقي رثاء الحسين عليه السلام في الشعر الشيعي الأندلسي يأتي طياً وضميمة في القصيدة الشعرية مع مواضيع وأغراض أخرى مساوفاً بذلك كيفية وروده في شقيقة الشعر المشرقي ، حتى جاء أبو عبد الله محمد بن مسعود ابن أبي الخصال الشقوري (٤٦٥ هـ - ٥٤٠ هـ) "وقد استحيى مأساة الحسين عليه السلام وجدد ذكر كربلاء ، ولاشك أنه أنشأ عدة قصائد وقطعا نثرية في الموضوع ، لأن الرجل كان غزير الانتاج

جياش العاطفة ، يمتح من نفس مليئة بالأحزان تتفجر من أغوار عميقة ، لكن لم نسمع من ذلك الانتاج إلا بعض أبيات وخلا قصائد نبوية ، وقصيدتين رواهما ابن خیر عن الشاعر نفسه كما نص على ذلك في كتابه المفید (الفهرست) .

(الهراس الدكتور عبد السلام العدد ١٤ السنة السادسة)

والذي يهمنا من النص السالف الذكر ، وما يمكن أن نستفیده منه هو بيان شاعرية ابن أبي الخصال ، ونفسه المليئة شعراً ، وإشارة النص إلى ضیاع الأدب الشيعي الأندلسي بلحاظه العام ، ناهيك عن رثاء الحسين عليه السلام ، ثم تتضح لنا أيضاً السنة الشعرية الجديدة التي اختطها وأبدعها ابن أبي الخصال في رثائه الحسين عليه السلام وذلك بأنه جعل رثاء الحسين عليه السلام في قصائد مستقلة لا يشوب تلك القصائد أي غرض آخر . وقد أكد هذا المعنى الدكتور عبد السلام الهراس والأستاذ سعيد أحمد عراب في

مقدمتهما عند تحقيقهما لكتاب (درر السمط في خبر السبط) بقولهما: "ويدشن - في

حدود علمنا - أبو عبد الله محمد ابن أبي الخصال الشقوري (٤٦٥هـ-٥٤٠هـ) هذا النوع

من الأدب فيبك الحسين عليه السلام في قصيدتين حسب ما وصل عن ابن خیر ،

إحداهما على قافية النون المرفدة بالألف ، والثانية على قافية التاء بعد الألف "

(القضاعي ابن الأبار ١٩٧٢- المقدمة)

فيقول في الأولى :

عَرَجُ عَلَى الطَّفِّ إِنَّ فَاتَتْكَ مَكْرَمَةٌ	وَأَدَّرَ الدُّمُوعَ بِهَا سَحًّا وَهْتَانَا
وَابْنُكَ الْحُسَيْنَ وَمَنْ وَافَى مَنِيَّتَهُ	فِي كَرْبَلَاءَ مَضُوا مَتْنَى وَوَحْدَانَا
يَا لَيْتَ شَعْرِي أَتَى جَرِيحَ الطَّفِّ دُونَهُمْ	أَهَيْنُ نَفْسًا تُفِيدُ الْعَرَّ مَنْ هَانَا
إِنِّي لِأَجْعَلَ حُرْنِي فِيهِمَا تَرْفًا	يَكُونُ لِلذَّئِبِ تَكْفِيرًا وَغُفْرَانَا
لِللَّهِ عَيْنٌ بَكَتْ أَبْنَاءَ فَاطِمَةَ	تَرَى الْبُكَاءَ لَهُمْ تَقْوَى وَإِيمَانَا

(ابن خیر ١٩٦١ ص ٤٢١)

ويقول ابن أبي الخصال في قصيدته الثانية المستقلة في رثاء الحسين عليه السلام والتي تبلغ تسع وعشرين بيتاً :

لَهْفَ نَفْسِي عَلَى الْحُسَيْنِ وَمَنْ لِي	أَنْ تَقْضِيَ حُقُوقَهُ عِبْرَاتِي
يَا جَفَوْنِي بَرِثْتُ مِنْكَ إِذَا لَمْ	تُغْرِقِي فِي بَحُورِهَا نَظْرَاتِي
لَهْفَ نَفْسِي عَلَى قَتِيلٍ يُغَرَّرَى	عَنْهُ خَيْرُ الْأَبَاءِ وَالْأَمْهَاتِ
أَيُّ عَيْشٍ يَطِيبُ بَعْدَ قَتِيلٍ	مَاتَ بِالرَّهْفَاتِ أَيُّ مَمَاتِ
حَرَمُوهُ مَاءَ الْفِرَاتِ وَلَوْ لَا	جَدُّهُ مَا سَقَوْا بِمَاءِ فِرَاتِ
إِنَّ فِي كَرْبَلَاءَ كَرْبًا سَقِيمًا	فَتَنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ

(الهراس الدكتور عبد السلام العدد ١٤ السنة السادسة)

وبالرغم من أن ابن أبي الخصال قد أفرد لرثاء الحسين عليه السلام قصائد مستقلة

إلا إنه لم يقتنع بإيراد قصائده الأخرى من دون ذكر الحسين عليه السلام وكربلاء

ومن ذلك ما جاء في نبويته المسماة "معراج المناقب ومنهاج الحد الثاقب" وكان قد

عارض بها قصائد حسان بن ثابت ، وقد خمسها أبو عبد الله محمد بن الحسين بن جيش المرسى وبفضل ذلك التخميس استخلص منها الدكتور عبد السلام الهراس جملة من الأبيات منها:

ويلحقهم فضل الشفاعة بالرضى
سوى أن قوماً جعجعوا بأبن بنته
كلوا واشربوا من خير أكل ومشرب
وحقوا به من قاتل ومؤلب
طريداً وحرّوا رأسه لتتوب

(الهراس الدكتور عبد السلام العدد ١٤ السنة السادسة . نقلاً عن أزهار الرياض)
وما أن سن ابن أبي الخصال افراد رثاء الحسين عليه السلام غرضاً خاصاً مستقلاً حتى ظهر من بعده شاعر جاء بأكثر مما جاء به ابن أبي الخصال ، حيث أنه وقف من نفسه وأفرد شعره بأكمله في أهل البيت عليهم السلام ووسائل الحسين فقط . وهذا الشاعر هو أبو البحر صفوان بن إدريس التجيبي المرسى . ومن طريف ما يذكر عن أبي البحر هذا بأنه كان كغيره من شعراء العرب يقول الشعر في أغراض متعددة ويمتدح الأمراء والسلاطين (واشتهر أنه قصد حضرة مراکش ومدح أعيانها فلم يحصل على طائل فأقسم ألا يعود لمدح أحد منهم ، وقصر أمداحه على أهل البيت عليهم السلام وأكثر من تأبين الحسين رضي الله عنه ، فرأى المنصور " منصور بن عبد المؤمن " في منامه النبي (يشفع له فيه وسماه له ، فقام المنصور وسأل عنه ، فعرف قصته فأغناه عن الخلق يومئذ" . (المغربى ابن سعيد ١٩٧١ ج ٢ ص ٢٦٠-٢٦١)

وقد تناقلت أكثر المصادر هذه الحادثة لأبي البحر ، وكذلك وردت على السنة عظماء عصره ومن بينهم الشاعر محمد بن مرج الكحل الذي خلد لها شعراً ، بقوله:

وتبلى عن صفوان ثبل كرامة
ولله في صفوان آية آية
حباؤه بها الرحمن والخلفاء
تكشف عنها للعظام غطاء
ولا خاب عند الله فيه جراء
ما ضاع منه في الحسين انتصاره

(الأمين السيد حسن ١٩٨٦ م ٤ ص ٢١٥)

ولحق شعر صفوان - مع وقفه على الحسين عليه السلام - الضياع شأنه كأكثر الأدب الشيعي في الأندلس ، وقد أشار جملة من الباحثين إلى هذا الضياع المؤسف "وعلى الرغم من أن لصفوان رسائل بديعة وقصائد جليّة في مرثي الحسين عليه السلام فإنه لم يصلنا من أدبه في هذا الغرض إلا قصيدتان وبضعة أبيات " .

(الفضلعي ابن الأبار ١٩٧٢ - المقدمة)

وقد ذكر القصيدة الأولى كل من كتب عن ابن إدريس والتي يقول فيها:

سلام كآزهار الربى يتنسّم
على مشهد لو كنت حاضر أهله
على منزل منه الهدى يتعلّم
لعاينت أعضاء النبي ثقسّم
وإلا فإن الدمع أندى وأكرم
على كربلاء لا خلف الغيث كربلا

(ابن الخطيب لسان الدين ١٩٣٤ ص ٣٧-٣٨)

والقصيدة طويلة . ولكن بعض من أورد القصيدة قد حذف منها بيتين فيما أثبت

هذين البيتين بعض آخر وقد تتبعنا القصيدة في مضانها الأصلية فوجدنا البيتين كما هما:

إِذَا صَدَقَ الصَّدِيقُ حَمْلَهُ مَقْدَمٌ وَمَا فَارَقَ الْفَارُوقُ مَاضٍ وَلَهْدَمٌ
وَعَاثَ بِهِمْ عَيْثَ ابْنِ ضَرَّةٍ وَأَعْلَى عَلَى كَعْبٍ مَنْ كَانَ يَهْضِمُ
ومن الذين أثبتوهما الدكتور عبد اللطيف السعداني في مقاله " حركة التشيع في المغرب ومظاهرها". (السعداني الدكتور عبد اللطيف ١٣٩١ العدد ٢ السنة الأولى ص ٥٤-٧٠)

"وكانت قصائد صفوان ينشدها السمعون" (نفس المصدر السابق) في مراسيم ومواكب العزاء الحسيني وقد ذكر ذلك ابن الخطيب . (ابن الخطيب لسان الدين ١٩٣٤ ص ٣٦)

وأما قصيدة صفوان الثانية ، فمنها قوله:

أَوْمِضْ بِبَرْقِ الْأَضْلَعِ وَاسْكِبْ غَمَامَ الْأَذْمَعِ
وَاحْزَنْ طَوِيلًا وَاجْزَعْ فَهُوَ مَكَانُ الْجَزَعِ
وَاثْثِرْ دِمَاءَ الْمُقْلَتَيْنِ تَأْلَأَ عَلَى الْحُسَيْنِ

(الأمين السيد الحسن ١٩٨٦ م ٤ ص ٣٠٢)

وممن عرفوا بصفوان وأثنوا عليه وعلى طرقاته في رثاء الحسين عليه السلام وحاولوا تقليده الشاعر ابو البقاء الرندي في كتابه " روضة الأنس ونزهة النفس " إذ يقول :
"وقد رثي الحسين قديما وحديثا ، وممن بكاه فأحزن ورثاه وأجاد ابو بحر صفوان بن إدريس الأندلسي رحمه الله ، ومن عجيب ما حكى عنه أنه دخل مراکش"
(الأمين السد حسن ١٩٨٦ م ٤ ص ٣٠٢) ثم يورد قصة الرؤيا التي أشرنا لها ويقول أبو البقاء (وأجاد ما شاء الخمسة التي نظم أقسامها على حروف العجم وذيل مراكزها بإعجاز من قصيدة امرئ القيس "قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل") ومنها:

دِيَارُ الْهُدَى بِالْخَيْفِ وَالْحُجْرَاتِ إِلَى مُلْتَقَى جَمْعٍ إِلَى عَرَفَاتِ
مَجَارِي سُيُولِ الْغَيْمِ وَالْعَبْرَاتِ مَعَارِفِ هَذِي أَصْبَحَتْ فِكْرَاتِ

لَمَّا نَسَجَتْهَا مِنْ جُنُوبٍ وَشَمَائِلِ

(الأمين سيد حسن ١٩٨٦ م ٤ ص ٣٠٢)

ومن الذين رثوا الحسين عليه السلام من شعراء التشيع الأندلسي شاعر معاصر لأبي البحر صفوان بن إدريس وهو ناهض بن محمد الوادي آشي المتوفي "٦١٥هـ" والد أفرد بدوره قصائد مستقلة أيضا في الرثاء الحسيني ، وهذا الشاعر لم يصلنا من شعره في هذا الغرض إلا قصيدة واحدة " شديدة الأسى والالتياح ، وقد اختار لها إطارا فنيا أضفى عليها ظلالة من الحزن وشحنها بأنفاس شجية باكية".

(القضاعي ابن الأبار ١٩٧٢ - المقدمة)

وقد أورد قصيدة الوادي آشي الدكتور عبد السلام الهراس وكذلك ذكرها صاحب دائرة المعارف الشيعية ولكنهما نسباهما غفلة لأبي البحر صفوان بن إدريس ، وعند تتبعنا للمضان والمصادر القديمة وجدنا بأن المقرئ في نفح الطيب ذكرها

كاملة ، وقد نسبها لقائلها ناهض بن محمد ، ومنها :

أمرئة سَجَعَتْ بعود أراك
أجفأك إلفك أم بليت بفرقة
لو كان حقاً ما ادّعت من الجوى
ولما ألفت الرّوض يارج عرفة
ولما اتّخذت من الغصون منصّة
لو كنت مثلي ما أفقت من البكا
أبكي قتيل الطّف فرع نبيّنا
أيزيد لو راعيت حرمة جدّه
قولي مؤلّهة علام بكاك
أم لاح برق بالحمى فشجباك
يوماً لما طرق الجفون كراك
وجعلت بين فروعه مغناك
ولما بدت مخضوبة كفّاك
لا تحسبي شكواي من شكواك
أكرم بفرع للنّبوّة زاكي
لم تقتنص ليث العرين الشاكي

(المقري التلمساني ١٩٨٦ ج ٧ ص ٦٩ ، الغزالي الدكتور عبد الأمير

١٩٧٩ ص ٢٦١-٢٦٢)

وما أن انتهيا من على مسرح الحياة أبو البحر صفوان ومعاصره الوادي آشي حتى أخذ
راية رثاء الحسين عليه السلام شاعر أندلسي مفلق آخر هو أبو محمد صالح بن شريف
المعروف بأبي البقاء الرندي (٦٠١هـ - ٦٨٤هـ) وقد أكثر في رثاء الحسين عليه السلام ،
وكان أكثر شعره في هذا الباب قد أصابه الضياع شأنه شأن أشعار أقرانه .

ومن جدير ما يذكر إعجاب الرندي بأبي البحر حيث يقول عنه في كتابه "روضة
الأنس ونزهة النفس" (وقد ألفت بطريقة صفوان رحمه الله في رثائه الحسين عليه
السلام بجملة حذوت فيها حذوه فبلغت شأوه بما هو في المعنى أغرب وإلى الحال أنسب ،
وذلك أني صنعت خمسة على حروف العجم مذيّلة بإعجاز من قصيدة زهير ، فيها :

أبيت فلا يساعدنّي عزاء إذا ذكر الحسين وكربلاء

فحلّ الوجد يفعل ما يشاء لمثل اليوم يدخر البكاء

عفا من آل فاطمة الجّواء

بعينك يا رسول الله ما بي دموعي في انهمال وانسكاب

وقلبي في انتهاب والتهاب على دار مكرمة الجناب

عفتها الريح بَعْدَكَ والسّماء

(الأمين السيد حسن ١٩٨٦ م ٤ ص ٢١٥)

ومن شعراء الرثاء الحسيني شاعر معاصر للسان الدين ابن الخطيب (المقري التلمساني
١٩٨٦ ج ١٠ ص ١٦٦) هو الشاعر ابن جابر الألبيري محمد بن أحمد بن الهواري ، ومن رثائه
الحسين قوله :

وكان الحسين الصارم الحازم الذي متى يقصّر الأبطال في الحرب يشدّد

شبيه رسول الله في البأس والندى وخير شهيد ذاق طعم الهتد

لصرعه تبكي العيون وحقّها فلله من جرم وعظم تؤدّد

فبعداً وسحقاً لليزيد وشمّره ومن سار مسرى ذلك المقصد الرّدي

(نفس المصدر ج ١٠ ص ٣٦٦)

ولابن المناصف موسى بن عيسى المتوفي (٦٢٧هـ) أرجوزة في مقتل الحسين نظمها

باقترح ابراهيم الدرعي الكفيف وقد وقف عليها ابن عبد الملك بخطه . (نفس المصدر ج ٦ ص ٢٧٢) ولكن لم يصل إلينا منها شيء وهذا من الدواهي التي أصابت الأدب العربي بشكل عام والأدب الشيعي على الخصوص .

النتيجة:

بعد هذا العرض فقد تبين لنا وعلى الجملة كيف كان عظم التشيع وركازته في الأندلس ، وكيف كان رثاء الحسين عليه السلام عند الشعراء الشيعة الأندلسيين وكيفية تطوره في أشعارهم من وروده ضمنا في قصائدهم إلى أفراد القصائد المستقلة له إلى تخصص بعض شعراء التشيع بالرثاء الحسيني وعدم النظم في غيره البتة ، وكذلك قد أشرنا بأنه لم يغادر أحد من شعراء التشيع الوقوف في كربلاء والبكاء عليها ، وكذلك قد ألحنا إلى ضياع أكثر هذا النوع من الشعر وسنحاول الكتابة عن هذا الجانب في بحث مستقل إن شاء الله أن وفقنا للكتابة عن الجوانب الفكرية في شعر الرثاء الحسيني التي لم نخرج عليها في بحثنا هذا واكتفينا فقط بالإشارة إلى موارد رثاء الحسين عليه السلام عند شعراء الأندلس .

مصادر البحث

- ❖ ابن الخطيب لسان الدين - أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلال - المطبعة الجديدة ١٩٣٤ .
- ❖ ابن خلدون عبد الرحمن - العبر وديوان المبتدأ والخبر - بيروت ١٩٦١ .
- ❖ ابن خير - الفهرست ١٩٦١ .
- ❖ ابن القوطية - تاريخ افتتاح الأندلس - نشر خوليان رايبيرا - مدريد ١٩٢٦ .
- ❖ ابن قولويه - كامل الزيارات - المطبعة المرتضوية - النجف ١٣٥٦ هـ ش .
- ❖ الأمين السيد حسن - دائرة المعارف الشيعية - دار التعارف للمطبوعات - بيروت ط ٣ ١٩٨٦ .
- ❖ الأمين السيد حسن - أعيان الشيعة - دار التعارف للمطبوعات - بيروت ١٩٨٩ .
- ❖ شبر السيد جواد - أدب الطف - دار المرتضى - بيروت ط ١ ١٩٨٨ .
- ❖ الشنتريني أبو الحسن علي بن بسام - الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة - تحقيق - د. إحسان عباس - دار الثقافة - بيروت ١٩٧٩ .
- ❖ طه الدكتور عبد الواحد ذنون - دراسات أندلسية - رقم الإيداع في المكتبة الوطنية ببغداد ٤٦٧ لسنة ١٩٨٦ .

- ❖ الغزالي الدكتور عبد الأمير عبد الزهرة عناد - أدب التشيع في الأندلس - رسالة ماجستير باللغة العربية - الجامعة الإسلامية الحرة - إيران - قم ١٩٩٧ .
- ❖ القضاعي البنسي أبو عبد الله محمد بن أبي بكر ابن الأبار - درر السمط في خبر السبط - تحقيق - د. عبد السلام الهراس ، وسعيد أحمد عراب - تطوان - ١٩٧٢ .
- ❖ المغربي بان سعيد - المغرب في حلى المغرب - تحقيق د. شوقي ضيف - دار المعارف - القاهرة ط ٣ . ١٩٧١ .
- ❖ المقري التلمساني أحمد بن محمد - نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب - تحقيق الشيخ محمد البقاعي - دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت ط ١٩٨٦ .
- ❖ ناجي الدكتور منير - ابن هانئ الأندلسي - دار الجامعيين ط ١٩٦٢ .

الدواوين

- ❖ ديوان ابن دراج - تحقيق - د. محمود علي مكي - منشورات المكتب الإسلامي - دمشق ط ١٩٦١ .
- ❖ ديوان ابن هانئ الأندلسي - طبع بيروت بالطبعة اللبنانية ١٩٨٦ .

المجلات

- ❖ مجلة المناهل - تصدرها وزارة الشؤون الثقافية في المملكة المغربية .
- ❖ مجلة الهادي - دار التبليغ الإسلامي - إيران - قم - العدد ٢ السنة الأولى - ١٣٩١ هـ .
- ❖ مجلة الموسم - هولندا - العدد ١١ سنة ١٩٩١ .

